

سيرة "أبو الطيب" مختار حلب وشيخ ثوارها





العقيد عبد الجبار عكيدي

مقالات أخرى

تاريخ النشر: 25.03.2021 | 05:51 دمشق

A- الخط A+

نسخ الرابط

عمر المختار، يسكن في خواترنا أسطورة لا تنتزح بك ما تحمله من دلالات، وجاءت ثورتنا وكان لكل مدينة "مختارها"، وفي حلب لا يزاحم أحد على هذا اللقب، شهيدنا "أبو الطيب"، وفي ذكرى استشهاده الثامنة، نترك للقلب أن يغرف من الذاكرة، شيئاً يسيراً من سيرة الشهيد، ويكتبها بوصلة، تجبر القلوب الكسيرة، وتفجر للأمل بناييع في أرواح تعبت خلال عقد مضى من عمر الثورة.

الإعلان في البدايات عن تشكيل فصيل أو كتبية عدا أمراً مألوفاً كثيراً ما تكرر، إلى أن ظهر أبو الطيب يعلن تشكيل كتبيته، المؤلفة منه ومن أبنائه وأحفاده، تلك اللحظة المُدهشة، لست إلا واسطة العقد في سيرة طيبة عطرة، أينما عرفت منها، وجدت درساً جليلاً، لا في الوطنية والنضال والكفاح فقط، بل درساً بليغاً في الحياة يندر أن يكرر.

محمد الطيب غزال المكنى بأبي الطيب، والملقب بحسب الثوار بشيخ المجاهدين، ولد عام تسعة وثلاثين من القرن الماضي، في مدينة الباب بريف حلب الشرقي، وعندما لاحت بشائر الثورة كان أبو الطيب قد تجاوز عتبة عامه السبعين، لكنه ومنذ اللحظة الأولى اشتعل فيه الشباب والهمة، وعند أول صرخة انطلق يحفز أبناءه وأحفاده، للبلد مهما كان الثمن، وكان في كل ذلك يتقدمهم، ليعطي أفضل مثال للقوة.

وحين فرض على السوريين الكفاح المسلح لمواجهة العنف المفرط من جانب النظام المجرم، لم يبخل أبو الطيب من ماله فقام بشراء ما قدر عليه من سلاح، وحمل



https://youtu.be/ak_-lfbY3mk

الكفاح المسلح

بدأ أبو الطيب كفاحه المسلح في الخطوط الأولى وارتقى فيها، وكانت الشرارة من معارك تحرير مدينة الباب في شهر آب 2012 وتحرير كتيبة الرادار في الشعلة بالقرب من مدينة الباب، ثم انتقل الى حلب لينضم ومجموعته إلى صفوف الجيش الحر منخرطاً في لواء التوحيد، بعد إعلانه تشكيل كتيبة (أحفاد المصطفى) جل عناصرها من الأبناء والاحفاد البالغ عددهم نحو أربعين فرداً.

بدأت مشاركته في مقارعة قوات النظام في أحياء حلب القديمة وخاض معارك ضارية في سوق الموازين وسوق البرتقال، ثم انتقل للمشاركة في معارك أحياء سيف الدولة وصلاح الدين والإذاعة، حيث المواجهات الأتف والأقوى في حرب شوارع التي تحتاح همة الشباب وسرعتهم بالنتقل من شارع إلى شارع، ومن بناء إلى آخر تحت وإيل من قصف المدفعية والطيران، ومشاركة قوية للقوات الخاصة والحرس الجمهوري التي تعتبر النخبة في جيش النظام، ثم شارك مع كتيبته في معركة تحرير اللواء 80، ومعارك تحرير مدينة الطبقة، خاتماً مشواره النضالي الزاخر بالبطولات في معركة تحرير عدة أبنية في حي سيف الدولة زادت عن عشرين مبنى وأسرد عدد من عناصر النظام، لطالما لهج بصوته عالياً بمعاملتهم بمقتضى الدين والأخلاق والعرف.



المعركة الأخيرة

قبل يومين من معركته الأخيرة طلب منه أولاده الذهاب في إجازة لإبعاده عن المعركة التي تحتاح إلى لياقة عالية وسرعة في الجري وخفة في الحركة والمنورة وتعتبر من أصعب المعارك حتى على الجيوش المحترفة، وعندما علم أن أبنائه يخططون للمعركة، استقل سيارة وجاء مسرعاً إلى حلب ليلتحق بهم، قائلاً لهم: (ما أنتم أرجل مني، ولا مشتاقين للجنة أكثر مني).

كان فجر يوم الاثنين في الخامس والعشرين من شهر آذار 2013 حيث أيقظ الجميع وصلى بهم فجر إماماً، شاحداً اللهم رافعاً المعنويات، مذكراً بمعاني التضحية والشهادة، بعد أن كان اطمأن على تجهيز لوازم المعركة من سلاح وعتاد وذخيرة وطعام، كفائد متمرس، تالياً عليهم وصيته بعدم إيقاف المعركة في حال أصيب أو استشهد، وإبقائه في أرض المعركة حتى انتهائها وختم "بعدها ليأخذني أحد أبنائي ويواريني الثرى في مسقط رأسي، وأن تحافظوا على وحدتكم وتماسككم، ومبادنتكم الوطنية والثورية".

خاض أبو الطيب الغمار فارساً مغوراً لا يشق له غبار، وكان يوم الاثنين، صائماً مستبشراً ببقاء وجه ربه العزيز الغفار، ملتحقاً بابنه إسماعيل وحفيده خليل اللذين سبقوه إلى الجنة كما كان يقول دائماً: (لا تحزنوا عليهم فقد سبقونا إلى الجنة).

في أحد شوارع حي سيف الدولة المرصود بقناص من قوات النظام، أصر أبو الطيب التغطية على المقاتلين، وكان يتقدمهم خارجاً من ذلك البناء إلى الشارع المرصود، وبعد عدة محاولات، تمكن منه القناص، وفاضت روح الشهيد إلى بارئها.



<https://youtu.be/8calXgxZ4Fc>

زادنا الهمة والأمل

كنت أكثر من زيارتي له في مقره في حي سيف الدولة مستلهماً منه معاني الصبر والتحمل، متعلماً منه دروساً في التواضع والقيادة الرشيدة، من خلال تعامله مع عناصر كتيبته كآخ كبير يساهم في إعداد الطعام وجلي الصحون وتنظيف المقر وصيانة السلاح، وكان حريصاً على أن يكون له نوبة رباط كغيره من المقاتلين، وقد حاولت جاهداً تطبيق سلوكه وتعامله مع عناصره في المجلس العسكري.

كنت معجباً جداً بحسه وخطابه الوطني العالي وحذره رغم تدينه من تمدد الجماعات المتشددة والتنبيه لخطورتها، بأنها ستكون الخنجر المسموم في خاصرة الثورة. تقاسيم وجهه الطيبة، وكأنها أبجدية ترأصفت حروفها لتستقبلك بأبهى وأجل العبارات، لا أعرف أحداً في حلب التقى "أبو الطيب" إلا وخرج أسيراً لهذه الشخصية. من مقولاته الشهيرة عندما كان أبناؤه وأحفاده يحثونه على إسراع الخطى أثناء قطع بعض الشوارع المرصودة بقناص النظام: (يا بني الطلقة التي ستصيبك مكتوب عليها اسمك، ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك).

استشهد شيخ المجاهدين أبو الطيب ولكنه بقي حياً في ذاكرة السوريين ووجدانهم مُخلداً اسمه في صفحات مرصعة سيخطها التاريخ بماء من ذهب إلى جانب عبد القادر الصالح وأبو الفرات والساروت والرائد ياسر العبود والمقدم محمد الخطيب والآلاف من أبطال الثورة السورية.



العقيد عبد الجبار عكيدي

